بتاريخ 29 جمادى الاول 1446
التعبدى و التوصلى

الجلسة 37

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمْ
الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمِينْ وَصَلَى الله عَلَىٰ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِين

معالجة المحقّق الحائريّ لاستحالة الدّور

لقد استَورد المحقّق الحائريّ استشكالاً تجاه الاستحالة ـ المطروحة ضمن الكفاية ـ معتقِداً بأنّا لا نفرّع الأمر على القصد كي يَتولّد الدّور بل المكلّف سيَنوي «عنوان العبادة مع وجهها العباديّ و بدون القصد» بحيث ستقع الصّلاة مجزية أيضاً، فبالتّالي قد شرَع حوارَه قائلاً: [1]

«هذا (الدّور) ان قلنا بان العبادات يعتبر فيها قصد اطاعة الامر، و يمكن ان يقال: ان المعتبر فيها ليس إلاّ وقوع الفعل (الصلاتيّ) على وجه يوجب القرب عند المولى و هذا لا يتوقف على الامر، و بيان ذلك ان الفعل الواقع في الخارج على قسمين:

ـ أحدهما: ما ليس للقصد دخل في تحققه بل لو صدر من الغافل لصدق عليه عنوانه، (نظير بعض الضّمانات نظير ما لو كسرَ شيئاً غافلاً أو نائماً فإنّه سيعُدَّ ضامناً أيضاً).

ـ و الثّاني: ما يكون قوامه في الخارج بالقصد كالتعظيم و الاهانة و امثالها، و ايضا لا اشكال في ان تعظيم من له اهلية ذلك بما هو اهل له و كذا شكره و مدحه بما يليق به حسن عقلاً و مقرّب بالذات و لا يحتاج في تحقّق القرب الى وجود أمر بهذه العناوين، نعم قد يشك في ان التعظيم المناسب له او المدح اللائق بشأنه ماذا؟ و قد يتخيّل كون عمل خاص تعظيماً له، أو أنّ القول الكذائيّ مدح له و الواقع ليس كذلك بل هذا الذى يعتقده تعظيما توهين له، و هذا الذى اعتقده مدحا ذم بالنسبة الى مقامه.

اذا تمهَّد هذا فنقول: لا إشكال في أنّ ذوات الافعال و الاقوال الصلاتية مثلا من دون اضافة قصد اليها ليست محبوبة و لا مجزية قطعاً، و لكن من الممكن كونُ صدور هذه الهيئة المركّبة من الحمد و الثّناء و التّسبيح و التّهليل و الدّعاء و الخضوع و الخشوع مثلا مقرونة بقصد نفس هذه العناوين (بقصد الحمد و التّسبيح و الخضوع) محبوباً للآمر، غاية الأمر أن الإنسان لقصور ادراكه لا يدرك ان صدور هذه الهيئة منه بهذه العناوين مناسب بمقام البارى عزّ شانه و يكون التفاته موقوفا على اعلام اللّه سبحانه، فلو فرض تمامية العقل و احتوائه بجميع الخصوصيات و الجهات لم يحتج الى اعلام الشرع اصلاً.

و الحاصل ان العبادة عبارة عن «إظهار عظمة المولى و الشكر على نعمائه و ثنائه بما يستحق و يليق به» (لا أنّ العبادة هي الامتثال بقصد القربة حتماً) و من الواضح أنّ محقّقات هذه العناوين مختلفة بالنسبة إلى الموارد، فقد يكون تعظيم شخص بان يسلم عليه، و قد يكون بتقبيل يده، و قد يكون بالحضور في مجلسه، و قد يكون بمجرد اذنه بان يحضر في مجلسك او يجلس عندك، الى غير ذلك من الاختلافات الناشئة من خصوصيات المعظِّم ـ بالكسر ـ و المعظَّم ـ بالفتح ـ و لَمّا كان المكلّف لا طريق له الى استكشاف أنّ المناسب بمقام هذا المولى تبارك و تعالى ما هو إلاّ بإعلامه تعالى، لابد أن يعلّمه أوّلاً ما يتحقّق به تعظيمه ثمّ يأمره به، و ليس هذا المعنى مما يتوقّف تحقّقه على قصد الأمر (في ذاته) حتّى يلزمَ محذور الدّور.

و يمكن أن يقال بوجه آخر: و هو أنّ ذوات الافعال مقيدة بعدم صدورها عن الدواعي النفسانية محبوبة عند المولى.»

إذن فإنّ بُنيان العبادات لا يَتوقّف بتاتاً على القصود كي يَدورا معاً، إذ مغزى «العبوديّة و التّعبّد» هو التّعظيم الخاصّ بما يَليقه و يُعلِنه، فهذه الحصّة هي التي ستُصبح تعبديّة بلا توقّف أساساً و لا تدوّر إطلاقاً.

معارَضة المحقّق البروجرديّ تجاه المحقّق الحائريّ

لقد هاجمه المحقّق البروجرديّ قائلاً:

«انتهى الوجهان المذكوران في الدُّرر».

و في كليهما نظر:

ـ أمّا الأول، فلأن قصد عنوان الفعل (الكليّ) إن كان كافيا بلا احتياج إلى قصد حصول القربة (كما هو لازم مقالة المحقّق الحائريّ) كان حاصل ذلك عدم اشتراط قصد القربة في حصول العبادة (بحيث سيَسوغ له أنّ يُصليّ بلا تقرّب) و هذا مخالف لضرورة الدين و إجماع المسلمين، و إن لم يكن (عنوان الفعل) كافياً عاد محذور الدور.»[2]

تصدّي الوالد المحقّق الأستاذ لإشكاليّة المحقّق البروجرديّ

لقد حامى الوالد المحقّق الأستاذ عن المحقّق الحائريّ ـبأنّه لا ملازمة بين القصد و عنوان العبادةـ فاستَشكل على المحقّق البروجرديّ قائلاً ـبالفارسيّةـ: [3]

«پاسخ اشکال مرحوم بروجردی پاسخ این اشکال متوقف بر بیان مقدّمه‌ای است که خود مرحوم بروجردی در کتاب الصلاة مطرح کرده و ما آن را در نهایة التقریر[4] ذکر کرده‌ایم. ایشان می‌فرماید: با کمال اهمیتی که قصد قربت در عبادات دارد و حتی محور عبادیت به‌حساب می‌آید ولی در هیچ آیه یا روایتی مطرح نشده است، در حالی که اهمیت قصد قربت اقتضاء می‌کرده که در آیه یا روایتی مطرح شود. آنچه در روایات مطرح شده، تنها چیزهایی است که مانعیت از قصد قربت دارد، و به عبارت دیگر: چیزهایی که تضاد با قصد قربت دارد.

مثل اینکه نماز ریائی باشد که باطل است، اگرچه یکی از اجزاء مستحبی آن توأم با ریا باشد. خداوند در حدیث قدسی فرموده است: «أنا خير شريك»[5] من شریك خوبی هستم، اگر کسی عملی را برای من و غیر من انجام دهد، من همهٔ عمل را در اختیار غیر می‌گذارم.[6] حال ما به مرحوم بروجردی می‌گوییم: با توجه به اینکه بالاترین ضدّ عبادت، مسألهٔ ریا بوده و آنچه محقِّق ریا می‌باشد عبارت از صورت نماز است نه حقیقت آن، یعنی اگر کسی بایستد و بدون قصد نماز، تمامی افعال نماز را انجام دهد، ریا حاصل می‌شود. چشم مردم ظاهر را می‌بیند، و نمی‌دانند در قلب انسان چه می‌گذرد. بنابراین محقِّق ریا، عبارت از ظاهر صلاة است.

در این صورت ما نمی‌توانیم نتیجه بگیریم که اگر کسی صلاة را به قصد عنوان صلاة انجام داد، ریاکار بوده و نمازش ریائی باشد، زیرا ریا احتیاج به قصد عنوان صلاة ندارد، ریا روی همان اعمال ظاهری صلاة متکی است. کسی که کنار انسان است ممکن است قرائت و اذکار و... را بشنود ولی قصد عنوان صلاة را نمی‌تواند بفهمد، او خیال می‌کند این شخص قصد عنوان صلاة کرده است.

به‌عبارت دیگر: اگر کسی قصد عنوان صلاة کرد، از اضدادی که در روایات به‌عنوان سبب بطلان نماز مطرح است، به دور خواهد بود، در نتیجه قصد تقرب برای او حاصل است بنابراین نبودن ریا و عجب و سایر دواعی غیر الهی، ملازم با قصد تقرب است. ما می‌خواهیم ادعای ملازمه کنیم بین قصد عنوان صلاة و بین قصد تقرّب، و همان‌طوری که مرحوم حائری قصد عنوان صلاة را محقِّق عبادیت می‌داند، ما هم از راه ملازمه بین قصد عنوان صلاة و قصد قربت، به‌عنوان عبادیّت تحقّق بخشیده می‌گوییم: اگر قصد عنوان صلاة بشود، قصد تقرب هم حاصل شده است.

سؤال: اگر قصد عنوان صلاة، ملازم با قصد تقرّب است، پس چرا فقهاء این دو را به‌صورت دو شرط و دو قید در عبادت مطرح کرده و هر دو را لازم دانسته‌اند تا ظاهر در عدم ملازمه باشد؟ جواب: اگرچه عنوان کردن دو چیز در عبادیتِ عبادت، ظهور در عدم ملازمه دارد، ولی ما وقتی خارج را ملاحظه کنیم می‌بینیم ملازمه تحقق دارد و الّا قصد عنوان صلاة چه ضرورتی دارد؟ اگر می‌خواهد مقدس‌نمایی کند و عمل ریائی انجام دهد، همان صورت صلاة کافی است و در باب ریا، نیازی به قصد عنوان صلاة نیست.»

إذن إنّ الوالد المحقّق الأستاذ يُقرّ بالملازمة لدى الامتثال الخارجيّ ـ وفقاً للمحقّق الحائريّ ـ و ذلک نظراً للملازمة الثّبوتيّة بين القصد القربيّ و بين فعل الصّلاة.

بينما نُلاحظ عليه بألا ملازمةَ بينهما لدى الخارج أيضاً، فإنّ الشّارع عنوان الصّلاة وسيعُ النّطاق بحيث يَنشقّ إلى صلاة قُربيّة و غيرها كصلاة رائيّة أو رياضيّة كأن يَنوي عمليّة الرّياضة من حركات الصّلاة، فبالتّالي ربما نَوى الصّلاةَ بلا قربة أساساً.

و لا يَرتبط هذا النّقاش بمبحث «الأعمّ و الصّحيح» لأنّهما يَخُصّان مفهوم الألفاظ و العناوين لدى استعمالها، بينما محور حوارنا حاليّاً يَحول حول امتثال الصّلاة خارجاً، و قد سجَّلنا ـ للتّوّ ـ بألا تلازُم بين القصد القربيّ و فعل الصّلاة، و لهذا نَرى تفكيک الفقهاء مصرِّحين بأنّهما شرطان لصحّة الصّلاة، فبالختام قد عالَج المحقّق الحائريّ الدّور بهذا الأسلوب.

---

[1] حائری عبد الکریم. درر الفوائد (الحائري). Vol. 1. ص95 – 97 قم ـ ایران: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم. مؤسسة النشر الإسلامي.

[2] بروجردی حسین. 1415. نهاية الأصول. Vol. 1. تهران ـ ایران: نشر تفکر.

[3] فاضل موحدی لنکرانی محمد. اصول فقه شیعه. Vol. 3. ص343-344 قم ـ ایران: مرکز فقهی ائمه اطهار (ع).

[4] ـ نهاية التقرير، تقریرات بحث صلاة مرحوم آیت‌الله بروجردی است که توسط استاد معظم «دام ظلّه» تقریر شده است.

[5] وسائل الشيعة، ج ١ (باب ١٢ من أبواب مقدّمة العبادات، ح ٧).

[6] نهاية التقرير، ج ١، ص ٣٠١ و ٣٠٢